المحاضرة الرابعة

هل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم راعيا للغنم؟

أولا: إن الواقع الجغرافي لمدينة مكة يتنافى مع ذلك، فأرض مكة كما وصفها القرآن الكريم ((واد غير ذي زرع))، والمعلوم أن الرعي يحتاج إلى وجود مناطق مؤهلة للرعي مليئة بالعشب والنبات، حتى أن أهل مكة كانت لهم بساتين في الطائف.

ثانيا: إن الواقع الاجتماعي يتنافى مع ذلك أيضا، فأهل مكة كانت جل أعمالهم في التجارة والصيد والحرب، حتى أنهم كانوا يأنفون من مهنة الزراعة والرعي.

ثالثا: أما فيما يتعلق بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وما أشارت إليه الرويات أنه رعى الغنم مرتين،

الأولى: عندما كان طفلا في ديار بني سعد. وهنا يمكن القول: إن حادثة نشأة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ديار بني سعد لا تصح، إذ لا تصمد أمام النقد التاريخي، وهي حادثة يشوبها الشك، ولا يمكن التسليم بها، إذا فرعي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الغنم في ديار بني سعد تعد سالبة بانتفاء موضوعها.

الثانية: عندما كان النبي في مكة في فترة شبابه، وهنا يمكن القول:

أــ أشرنا أعلاه إلى أن الواقع البيئي لمكة يتنافى مع هذا، إذ أن أرضها غير مؤهلة لذلك، فضلا عن أن الواقع الاجتماعي للمكيين عامة والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة لا يصح معه التسليم بقيامه بهذا العمل، خاصة وأنه ابن سيد قريش (عبد المطلب) والذي لم يمكن فقيرا، وبعد وفاة جده انتقل إلى رعاية عمه أبو طالب والذي أيضا لم يكن فقيرا، بل تشير الروايات إلى أنه كان تاجرا وثريا، فلماذا يحتاج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى العمل راعيا للغنم، وهو ابن سيد قريش.

ب ــ أشارت الروايات إلى أن عمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو التجارة شأنه شأن باقي أهل مكة، والذي عمل بها منذ بدايات شبابه.

ج ــ فضلا عن ذلك، فإن الرواية التي تحدثت عن رعي النبي صلى الله عليه وآله وسلم للغنم، فيها إساءة إلى مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن القبول بها: (عن الرواية راجع ص٧٣ من الكتاب)

وهنا يمكن إيجاز الملاحظات عليها:

أ ــ أن الرواية تتحدث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكأنه شخص مجهول، وهذا لا ينطبق حول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لمع نجمه منذ صباه، وذاع صيته، حتى عرف في مكة بالصادق الأمينز

ب ــ أشارت الرواية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد هم بفعل منكر من منكرات الجاهلية، وهذا لا يصح صدوره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ أنه معصوم منذ ولادته ولا يصدر منه القبيح أبدا، حتى لو كانت مجرد نية، فالنبي لا يهم بعمل القبيح.

ج ــ الغريب ألأن الرواية تشير إلى رعب الغنم ليلا، والمعلوم إن رعي الغنم إنما يكون نهارا لا ليلا.

د ــ تنسب الرواية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((نحن في رعاية غنم أهلنا))، فماذا يقصد بأهلنا، فوالديه قد ماتا، فهل كان يرعى الغنم لجده عبد المطلب مع أن عمره ثماني سنوات أم لعمه أبي طالب، ولماذا يجعلانه راعيا للغنم دون أبنائهم. وهل هذا يتلائم مع ما قيل من رعاية منقطعة النظير بالنبي من قبل عبد المطلب وأبي طالب.

ه ــ أن أبا طالب كان تاجرا وكان يأخذ النبي معه للتجارة إلى الشام. وكان قد عمل شريكا للسيدة خديجة في تجارتها قبل زواجه بها، إذا فمهنته هي التجارة شأنه شأن باقي أهل مكة.

إن الرواية أعلاه ومثيلاتها بحاجة للبحث والتحري فيها لمعرفة أسباب وضعها.